بسم الله الرحمن الرحيم

(صفة الملك أقرب إلى الشرع والعقل والواقع)

آتى الله تعالى الملك من شاء من عباده في الحياة الدنيا، واختص الله نفسه بالملك يوم القيامة؛ قال الله تعالى: ﴿والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾، وقال تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾.

وآتى الله آل ابراهيم ﴿ملكاً عظيماً﴾ وجعل صالحي بني اسرائيل ﴿ملوكاً﴾ وبعث طالوت ﴿ملكاً﴾ وآتى داود ﴿الملك﴾، ﴿وورث سليمان داود﴾ وقصّ الله عن ﴿ملك سليمان﴾ وآتى الله يوسف ﴿من الملك﴾.

وجُلّ ولاة الأمر في تاريخ البشرية صالحين من خيرة عباد الله مثل من ذكرت من الأنبياء والرسل، أو طالحين مثل الجبابرة والفراعنة والقياصرة والأكاسرة والأباطرة كانوا ملوكاً بالوراثة في أغلب الأحوال أو بالقوة والغلبة، وقلّما الصالحون دون الأنبياء والطالحون فوق الكفرة.

وخير ولاة الله على المسلمين - بعد نبيّه صلى الله عليه وسلم - خير أمته: أبا بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم معاوية رضي الله عنهم وأرضاهم من الصحابة، ثم تتابع الولاة من بني أمية وبني العباس من التابعين ومن بعدهم رحمهم الله تعالى. وخيّر النبي صلى الله عليه وسلم بين العبودية والملك فاختار الأدنى.

واصطلح الناس على تسمية الأربعة الأول: (خلفاء) تأولاً للحديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» وتسميتهم ومن بعدهم: (أمراء المؤمنين)، وتأولاً للحديث: (خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً). ولا شك أن ولاية الأربعة الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالتأسي بهم (كما أمر الله الأمة بالتأسي به) خيرٌ من ولاية من بعدهم من الصحابة رضي الله عنهم فمن دونهم، ولا علاقة للخيرية بمجرد مصطلح الخلافة أو الإمامة والإمارة والملك؛ فقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الولاة (من الصحابة وولاة بني أمية) بالخلفاء في قوله: «لا يزال الدين عزيزاً [وفي رواية: قائماً، وفي رواية ظاهراً] إلى اثني عشر خليفة» رواه مسلم وغيره. وقال الله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾، وقال: ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ أي: يخلف بعضكم بعضاً، وقال تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾، وقال ممتناً على قوم هود: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ وعلى قوم صالح: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾. وقال الله عن آل ابراهيم: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ وعن آل فرعون: ﴿وجعلناهم

أئمة يدعون إلى النار)، وسمّيت سلطنة آل عثمان التركية خلافة والأولى بدلاً أن تسمّى خرافة لإفسادها في الدين والدنيا، أبعدها الله وأمثالها. ولا تزال أكثر دول أوروبا ملكية أو أميرية وراثية، وعلى رأسها انكلترا ولا تزال إسرائيل وكندا تستظل بظلها، ولا تزال اليابان ملكية وراثية باسم الإمبراطورية، وكثير من دول وإمارات آسيا وأفريقيا وراثية، ولم تجعلها صفة الوراثة أدنى أو أعظم من جاراتها.

وظنّ العرب أنّ تغيير الاسم يغيّر المسمّى، فبدأت تجربة التغيير بمصر، وتبعتها العراق واليمن وليبيا، ولم ترضِ النتيجة شعوبها فسعت إلى التغيير بالطريقة نفسها: الثورة والخروج على الولاة بعد نحو نصف قرن، وكالعادة لم يحمد الثوّار أو شعوبهم العاقبة.

واختار الله لبلاد مجلس التعاون الخليجي وأهلها الرضا بقسمته والمحافظة على شرعه في معاملة الولاة (غير شرذمة ضالة لا خلاق لها في الدين ولا في الدنيا)؛ فصارت دول المجلس مثالاً لحسن العاقبة في العلم والعمل والدين والأمن والغنى.

وسنّت دولة البحرين سنّة حسنة بعودتها إلى الفطرة وتحوّلها إلى الملكية الوراثية بعد أن ظنّ العرب أنّ الملكيات أمرى بالنقص منها بالزيادة فأخلف الله تفاؤلهم وظنّهم.

ولعلّ دولة قطر (وغيرها) تتلو البحرين فتخلف ظنّ السوء.

أمّا دولة التوحيد والسنّة (المملكة العربية السعودية) فهي خير مثل على حفظ فطرتها وحفظ شريعة الله لها ولكلّ عباده الصالحين، وكان ولاتها في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري يلقّبون بالأئمة، وكانوا بفضل الله ومنّه أئمة يدعون إلى تجريد الدين بالعودة به إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم، وإزالة ما علق بالدين من البدع وخاصة ما تلبّس به تديّن أكثر المسلمين من الشرك الأكبر بدعاء أوثان المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة (أوثان وأنصاب الجاهلية الأولى والأخيرة)، ولقّب ولاتها في القرنين الأخيرين بالملوك والأمراء، وقامت دولتهم المباركة بما قامت به أجدادهم من الأمر بإفراد الله بالعبادة والنهي عن صرف شيء من الدعاء وغيره من العبادة لغير الله أو إشراكه معه، والأمر باتباع السنة والنهي عن الابتداع في الدين، وما دون ذلك من شريعة الله.

حفظ الله وحفظهم قدوة صالحة للمسلمين وذخراً للإسلام ١٤٢٧/٢/١٢.